

بسم الله الرحمن الرحيم

## رياض الصالحين

شرح حديث أبي موسى - رضي الله عنه - "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا هو الحديث الأول مما أورده الإمام النووي - رحمه الله - في باب تعظيم حرمان المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم، وهو حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))، وشبك بين أصابعه<sup>(١)</sup>.

فهذا تبيين من النبي - صلى الله عليه وسلم - يفيد الحث على معاونة المؤمن لأخيه المؤمن ونصرته وأن ذلك أمر لا بد منه، فهو شيء متأكد، كما أن البناء لا يتم ولا تحصل فائدته ولا يتحقق الغرض منه إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضاً، بحيث يشد بعضه بعضاً ويقويه، وإلا تتحل أجزاءه، وينفطر نظامه ويختل بنيانه، ولذلك تجدون أن الذين يبنون يخالفون فيما يضعونه من اللبن ونحوه، بحيث يكون ذلك أدعى إلى قوته، حتى إنهم لربما إذا بالغوا في تقويته وضعوا الرصاص فيما بين تلك الأحجار، وهذا أحد المعاني في قوله - تبارك وتعالى -: {كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرصُوفٌ} [الصف: ٤]، قال بعض أهل العلم: كأنهم بنيان مرصوص أي: شد بالرصاص، وبعضهم فسره بالظاهر المتبادر مرصوص أي يرص بعضه بعضاً ويقويه.

فالمؤمن كالبنيان لا يستقل بأمر دينه ولا بأمر دنياه، ولا تقوم مصالحه على الوجه المطلوب إلا بالمعاونة، والمعاونة بينه وبين إخوانه، فإذا لم يحصل هذا وانتشغل كل واحد بنفسه فإن ذلك مؤذن بتفكك الأسرة والمجتمع، وكما رأينا كثيراً من المشكلات التي تشيب لها المفارق، ولا تقوم الجبال لحملها، ولربما عجز الناس عن حلها، والسبب أن هذه الأسرة التي وقعت لها هذه المشكلة لا يعرف بعضهم بعضاً، فهذا أحدهم يصارع الهموم والأحزان والآلام ولا يجد معيناً ومساعداً من أسرته.

وفي كل يوم نسمع أشياء عجيبة من هذا الباب، تجد أحدهم فتسأله أليس لك أب، أو أخ، أو أقرباء؟، فيقول: أسرتي مفككة وممزقة، كل واحد مشغول بنفسه، فلا شك أن بعضاً من هؤلاء يرتمي في أحضان الشياطين، فيقع في المخدرات، والفتيات يكنّ فريسة للذئاب البشرية، والزوجة قد تقتل نفسها، أو تبيع عرضها ولو نكايه بأهلها الذين ضيعوها وأهملوها، ولم يسمعوا منها مشكلاتها، فهي بحاجة إلى أن تفرغ عن بعض مكنونات نفسها، فلا تجد أحداً يسمعها إلا ذنباً من هذه الذئاب البشرية، فيظهر لها الشفقة والعطف والمحبة وما أشبه ذلك حتى يوقعها في حباله، لكن إذا كانت الأسرة مترابطة مع بعضها، فيسمع الأب لأولاده البنين منهم

١ - أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، (٣ / ١٢٩) برقم: (٢٤٤٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٤ / ١٩٩٩)، برقم: (٢٥٨٥).

والبنات، وكذلك الأم، والجار يتفقد جاره ويعرف حاله، حصل بذلك أمن للمجتمع، وقطع الطريق على شياطين الإنس والجن الذين يأتون ويصطادون في مثل هذه البيئات المفككة ويجدون بغيتهم فيها. وهذه الأيام ربما قد يأتي السارق فيسرق بيت الجار ويأخذ كل ما فيه في وضح النهار، وجيرانهم ينظرون إليه ويقولون: لا ندري أهو منهم أو لا، كل هذا سببه تفكك الأسرة بين هؤلاء الجيران وتفرقهم. **((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))**، فهذا الحديث فيه تصوير وتوضيح لهذا المعنى بصورة حية ظاهرة يدركها كل أحد، فهي تقرب المعنى المعقول بالصورة المحسوسة، فينبغي للعبد أن يعرض نفسه على هذا الحديث، هل هو لإخوانه كالبنيان يشد بعضه بعضاً أو لا؟.

فهذا يأتي وقد ألمت به حاجة يريد مساعدة من إخوانه فعليهم أن يقضوا حاجته، وهذه امرأة أرملة لا تجد أحداً يقف معها فلا بد أن يقف معها الناس، وهؤلاء الأولاد ربما يضيعون ويتيهون مع أقران السوء، وأبوهم رجل كبير لا يدرك هذه الأمور، أو يعجز عن كفهم، فعلى الجيران أن يقوموا على مصالحهم إذا غاب من يرعى هذه الأسرة، لماذا تترك للضياع والتلف وقد ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه: **((لبس المؤمن بالذي يشيع، وجاره جائع))**؟<sup>(٢)</sup>، أحياناً تقف على بعض الحالات البائسة من فقر، فتجد أولاداً لا يذهبون إلى المدرسة، والسبب أنهم لا يجدون ثياباً يلبسونها، وتفاجأ أن هؤلاء يجاورهم فلان وهو من أهل الخير، لكنه لم يعلم بحاجتهم ومسغبتهم، وهكذا في يوم عيد لا يخرجون، لأنهم ليس لديهم شيء يلبسونه ويخرجون به، فيعانون من أشياء يسيرة لا تكلف ثمناً، فأين الترافق والترابط والتراحم، حتى تغيب هذه الآلام؟.

واعلموا أنه كلما كانت معاني الإيمان حية في النفوس كلما كانت هذه الروابط أقوى، ولذلك فإن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- تركوا كل شيء لإخوانهم من المهاجرين، تصوروا لو عرضنا واقعة على مجتمعنا الحاضر، هذا عبدالرحمن بن عوف يأتي من مكة ليس معه إلا إزاره، فيؤاخي النبي -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فقال سعد لعبد الرحمن: **((إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها))**<sup>(٣)</sup>، في مجتمعنا الذي نعيش فيه يعد هذا نوعاً من السذاجة وضعف العقل، فلو جاء أحد يفعل مع إنسان هذه الطريقة للامه أقرب الناس إليه.

فهذه الرابطة لم تكن مجاملات ولا جاءت عن فراغ، بل كانت نتيجة لتربية إيمانية عالية. ولما جاء المهاجرون وهم ليسوا من مكة فقط، بل من كل القبائل المحيطة بالمدينة، وكانوا أكثر من الأنصار، ثم فتحت قريظة، فجمع النبي -صلى الله عليه وسلم-، الأنصار، وفي البداية قال لهم النبي -صلى الله عليه وسلم-: إن المهاجرين ليسوا بأهل زرع، وأنتم أهل زرع، فبدلاً من أن تقاسموهم الأرض والثمر ستكون هناك قسمة أخرى، تبقى الأصول لكم، والثمر بينكم، بحيث لا يشتغلون معكم، فتتفردون بالعمل أنتم لأنكم أهل زرع، فكانت القسمة بهذه الطريقة، ثم لما فتحت النضير جمع النبي -صلى الله عليه وسلم-

٢ - المعجم الكبير للطبراني (١٢ / ١٥٤) برقم: (١٢٧٤١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (١ / ٢٧٨) برقم: (١٤٩).

٣ - أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي -صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين والأنصار، (٥ / ٣١)، برقم: (٣٧٨٠).

الأنصار وخيرهم بين أمرين قال لهم: إما أن يبقى المهاجرون في أرضكم يقاسمونكم الأموال كما كانوا في السابق، وأقسمها بينكم -أي أرض النضير المليئة بالزروع والعقارات والدور-، أو أنهم يخرجون من أرضكم وأقسمها بينهم خاصة، فقالوا: لا يا رسول الله، لا نقبل هذا أبداً<sup>٤</sup>.

تصور لو عرضت علينا هذه القضية، لا شك أننا نقول: أصلاً الأرض أرضنا والمزارع مزارعنا ومع هذا نقسم معهم!، ولكن انظر ماذا قال أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- قالوا: لا يا رسول الله، يقولون في أرضنا ونقسمها بينهم دوننا، من يفعل هذا؟ إنها تربية عالية، هكذا فعل الإيمان بهذه النفوس، الذين كانوا يقتتلون لربما أكثر من أربعين سنة على أشياء تافهة، وفي غاية الحسد، والبغضاء والشحناء يتحولون إلى هذا المستوى، وهذه لم تكن مجاملات، ليس أحد أعلم من الله -عز وجل- بخبايا النفوس، وتكفي تركية الله -عز وجل- لهم حيث قال: **﴿لَوْ أَنَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر: ٩] يعني لا يجدون حسداً مما أوتوا، أي مما أوتيه المهاجرون دونهم، "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة"، الخصاصة شدة الحاجة والانفراد بها، أي يختص بها، فقل لها: خصاصة، وسبب ذلك أن الله وقاهم شح أنفسهم، **﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**، فهم أي الصحابة -رضي الله عنهم- **﴿كالبنيان يشد بعضه بعضاً﴾** لا يضع الضعيف ولا الفقير في مجتمعهم.

<sup>٤</sup> - انظر: الصحيح من أحاديث السيرة النبوية (ص: ٢٣٦).